استخدام الآلة ، لم تكن له حضارة ولم تكن له حياة اجتماعية أو فردية ، تختلف كثيراً عن حياة الحيوان » [٢١] . ويعلل العقاد عجز الحيوانات عن استخدام الآلة على أبسط ما تكون حالتها البدائية . ويمثل بالحصان مثلاً ، فليس فى وسعه أن يقذف حجراً أو يحمل عصا أو يحرك شيئاً بواسطة من الوسائط غير أعضاء جسده ، أما الحيوانات العليا - كالقردة - فتستطيع محاكاة الإنسان دون أن تدرى أو وهى تدرى ما تفعله ، لكنها لا تبتدئ من عندها عن روية وتفكير . فلماذا تلازم استخدام الآلة مع تحضر الإنسان ؟ . يعلل العقاد لذلك بانتصاب قامة الإنسان فى وقوفه ومشيه ، « فاستقامة الإنسان فى وقوفه ومشيه هى الفاصل الواضح بين أطوار الحياتين : أطوار الحياة الإنسانية ، وأطوار الحياة الحيوانية » ، ثم يعلل « بين انتصاب القامة وصلاح اليدين للعمل المتواصل المتعدد ملازمة ظاهرة فى تكوين بنية الإنسان ، وتكوين دماغه ، وارتباط الحركة اليدوية بالحركة الفكرية فى أعماله » [٢٢] . ولهذا السبب أطلق العقاد على الإنسان أنه «حيوان صانع أى صانع للآلات » ؛ لأن استخدام الآلة هو الذى جعل اليدين فى الإنسان أتم وأقدر من اليدين فى ذوات الأربع . وهو الذى شحذ العلاقة الفكرية بين الدماغ وسائر أعضاء الجسد وحواسه [٢٣] .